بعض تفاصيلها ، فانه يتيح له على كل حال ان يلعب دورا خاصا بين الشخصيات الفلسطينية الاربع ٠

فهو ، في عملية التفاوض التي تجري بين المسافرين الثلاثة وابي الخيزران ، يتولى الدور الرئيسي فيها ممثلا ابا قيس ومروان (٩٠) ٠ وليست هذه العملية هي الاولى من نوعها التي يمارسها اسعد ، فقد كان قد جرب ذلك مرتين قبل الآن : المرة الاولى مع ابي العبد « قرب جبل عمان » (٥٤) والمرة الثانية مع صاحب مكتب التهريب السمين في البصرة ٠ وهو في كل من هاتين المرتين بدأ التفاوض معارضا لبعض التفاصيل وانتهى الى القبول بها ، وبجميع شروط الطرف الآخر : العشرين دينارا بالنسبة لابي العبد ٠٠٠، والدفع المسبق بالنسبة لمهرب البصرة السمين ٠٠٠ هذا في الحين الذي لا تغيب عن باله التجربة الاولى وهو يعقد الاتفاق الثاني ٠٠ وهذا بالتحديد ما يقوم به ايضا في تفاوضه مع أبي الخيزران منتهيا الى القبول بشروطه بالنسبة للسعر وبالنسبة لطريقة التهريب ايضا ٠٠٠ التي تؤدي الى الموت ٠

اما ابو الخيزران فيحتل موقعا متفردا في النص ازاء هذه الشخصيات الفلسطينية الثلاث السابقة ٠ فهو لا يقوم هنا بالهرب (السفر) بل بالتهريب ، لاعبا الدور الذي كان لعنصر عربي غير فلسطيني مبدئيا كان يلعبه (سمسار البصرة) ، مؤكدا في ذلك المدى العميق لانخراطه في هذا المجتمع العربي وانسلاخه عن ارضه ووطنه في آن ، واذا كانت رجولته ومهنته هما ميزتي القوة لديه هنا ، فان فيهما بالتحديد تتبدى بنية العجز العامة ٠ فهو رغم كونه في عز رجولته (٣٤ سنة ؟) لكنه في الوقت ذاته مخصي ٠ وهو رغم قيادته لسيارة لا يؤخرها موظفو الحدود ولا يفتشونها فانها ليست له ، فصاحبها « رجل ثري معروف » (٩٤) ٠ لذلك يأتي تأخير ابي باقر له عند الحدود الكويتية بسبب تلك القصة المختلقة عن كوكب الراقصة ، تأكيدا مزدوجا لهذا العجز العام في اقوى مواقعه ، لذلك يأتي فشله في تهريب هؤلاء الفلسطينيين الى الكويت ، اذ بدلا عن ادخالهم الى هذا البلد للارتزاق ، يلقيهم جثثا حيث تلقي سيارات البلدية قمامتها وينتزع ما في جيوبهم من أموال ٠٠٠

هكذا فان المواقع المختلفة للشخصيات الفلسطينية الاربع تتيح لنا ان نجد فيها ضمن الابعاد الرمزية للبنية الروائية ادوارا محددة يجدر ايضاحها ٠

ان الموقع المتميز لاسعد ، يجعله يحتل في العلاقات الاجتماعية ـ التاريخية التي توصي بها رمزية الرواية ، موقع القيادة النظرية لهذه المرحلة الفلسطينية الخاصة ٠

وهذا ما يؤكده ليس ما اشرنا اليه من تمثيله للمسافرين في التفاوض مع ابي الخيزران وانما ايضا الدور السياسي الذي يلمح اليه النص ، والذي بسببه تظاهر واعتقل واهين وعد متآمرا على الدولة فأصبح مطلوبا وسجل اسمه على نقاط الحدود (١٣١ ـ ٥٨ ٠٠)

وهو كذلك الوحيد الذي يتكلم لغة اجنبية بين بقية الشخصيات (٦٥) ٠

بينما يقوم الموقع المتفرد لابي الخيزران على تمثيل موقع القيادة العملية للمرحلة ذاتها ٠ وهذا ما يعلنه النص ليس فقط عبر قيادة ابي الخيزران للسيارة بل ايضا عبر